العنف ضد المرأة السورية اللاجئة

د. حسن محمد أحمد محمد*

تتركز فكرة هذا البحث وتنحصر في موضوع اللجوء واللاجئين الفارين من جحيم حرب استعر أوارها في بلد غال وعزيز على الوطن العربي (سورية)، فالعنف الناجم عن تلك الحرب المستعرة، بين الإخوة السوريين قد تسبب في تشريد أعداد كبيرة وضخمة من المستضعفين السوريين، وتمثل شريحة النساء والأطفال الذين تشردوا، بسبب العنف، النسبة الأعلى من اللاجئين والنازحين داخليًا[1]، فهي الفئة المستضعفة والمستهدفة من بين الفئات التي تعاني الكثير من الاهمال والتشريد؛ لقلة الحيلة وضعف البناء الجسدي، وربما لا يقف الألم عند ذلك الحد، وإنما يضاف إليه أمر آخر، أشد فتكًا وضراوة، وهو إنهيار الروح المعنوية، وهي سمة تلازم المرأة، أكثر من الأطفال، لما تتميز به من وعي وادراك لفداحة المصيبة وهول الموقف الذي تمر به وتدرك الكثير من أبعاده وما سيتمخض عنه. فالمرأة، مع ما تعاني منه من سوء الحظ في هذه الحياة فهي، تمثل الضحية المستهدفة في الحروب والنزاعات القبلية والسياسية، وقد نالت نصيب الأسد من العنف والاضطهاد؛ حيث تعتبر المرأة الأكثر تحملاً لفاتورة الحروب والنزاعات المسلحة التي نشبت في بعض دولنا العربية عقب ثورات الربيع العربي؛ مما ألجأها إلى معسكرات ومخيمات اللاجئين؛ غير أن المرأة عانت مر المعاناة في تلك الأماكن غير المناسبة لحياة إنسانية كريمة، وأيضًا بسبب صعوبة العيش هناك، وعدم قدرتها على التواؤم مع تلك الظروف المعيشية القاسية، خاصة وأن العنصر النسوي يمثل ما نسبته 50% من المقيمين بمعسكرات اللجوء[2]، فأصبحوا بين نازح ولاجئ، إذ تقدر أعدادهم بحوالي 1200000 (اثنا عشر مليون شخص) منهم أربعة مليون سوري لجأوا إلى الدول المجاورة: تركيا، الأردن، لبنان، العراق... وغيرها [3].

---

*– **الدكتور حسن محمد أحمد محمد**: أستاذ مساعد (غير متفرغ)، التخصص: علم النفس والفلسفة، الدولة: السودان، الجامعة: أم درمان الإسلامية.

[1] /http://www.rescue.org/sites/default/files/resource-file/IRCReportMidEast20130114.pdf

[2]/ نجوى دريدي: ماذا فعلت الجامعة العربية للمرأة اللاجئة وأطفالها المشردين؟، العرب: ص: 20، 2017/3/17م.

[3]/ تقرير الاستراتيجية الإقليمية للأزمة السورية في السويد 2016-2020م (مترجم عن تقرير باللغة السويدية).

وفي هذه الأوضاع البالغة الخطورة تصبح المرأة معرضة للتهديدات المختلفة التي تطال أمنها وسلامة أسرتها وقدرتها على المشاركة الفاعلة في مجتمعها. من هذا المنطلق رأى الباحث أن مشكلات المرأة، لاسيما العنف ضد المرأة اللاجئة، تعتبر مشكلة تستحق البحث والدراسة، من هنا انبثقت فكرة هذه الورقة، لعلها تساهم في إيجاد حل لمشكاة العنف ضد النساء السوريات اللاجئات. فالمرأة تمثل اللبنة الأساسية في البناء الأسري المتماسك؛ فهي صانعة المستقبل وزارعة الأمل؛ وذلك من خلال عنايتها بالناشئة، قال الشاعر:

وإذا النساء نشأن في أمية * رضع الرجال هالة وخمولا

بيد أن الواقع المشاهد لأحوال المرأة ينبئ عن سوء حالها، فمستقبلها يكتنفه الغموض والضبابية، في ظل انتشار النزاعات المسلحة، وهي الأكثر عرضة للظلمً والمعاناة، التي تتمثل في أن المرأة اللاجئة تكون مسئولة عن حماية أطفالها؛ بسب غياب العائل الذي ربما قُتل أو تشرّد؛ مما يضعها في موقف لا تحسد عليه. وتؤكد إحصاءات مكتب الأمم المتحدة أن ربع النساء في الدول الصناعية المتقدمة قد تعرضن للضرب، وفي الدول النامية، مع عدم توفر الإحصائيات، فالنسبة تتجاوز ال66%.[4] كما تبين الإحصاءات أن امرأة من بين خمسة أو سبع نساء تعرضت للاغتصاب في حياتها، وتشير الدراسات التي أجريت في كل من: بنجلاديش، البرازيل، كندا، كينيا تايلاند، وغينيا الجديدة؛ إلى أن ما يزيد عن نصف جرائم القتل التي ترتكب ضد النساء تأتي من أناس معروفين، وفي تقرير، آخر، للأمم المتحدة ذكرت فيه أن نسبة العنف ضد النساء، في الأردن، قد بلغت86%[5]، وأشارت دراسة للبنك الدولي إلى أن النساء اللواتي يتعرضن للضرب يلجأن للانتحار بنسبة تفوق غيرهن بنسبة12%[6]. ويمثل العنف درجة من درجات سوء المعاملة، الجسدية أو النفسية، وفيها يتم الاعتداء اللفظي الجارحة للمشاعر والأحاسيس والخادش لحياء الأنثى، حيث ورد في تقرير المفوض العام لوكالة غوث اللاجئين 1988م: أن النساء اللاجئات يعانين من العنف العائلي من جراء الاحباطات التي تسود مجتمعهن المحلي، كما أنهن يقاسين الأمرين في سبيل الحصول على حقوقهن القانونية. من هذا الباب تتأتى أهمية دراسة سيكولوجية العنف

[4]/ المرأة وحقوق الإنسان، عادل أبو زهرة، ص: 27.

[5]/ نجوى دردير: ماذا فعلت الجامعة العربية للمرأة اللاجئة وأطفالها المشردين؟، العرب: ص: 20، 2017/3/17م.

[6]/ الشخصية، ريتشارد لازاروس، مترجم، ص: 96.

التي أضحت أحد أبرز اهتمامات الإنسان اليوم، وفي شتى مناحي الحياة ...، وقد أصبح إنشاء المؤسسات المتخصصة لدراسة ظاهرة حالات العنف، من أكبر هموم المجتمعات الإنسانية[7].

لعل في ما أوردناه آنفًا إشارة واضحة إلى ما تعاني منه النساء من شتى صنوف العنف، ويقع ذلك العنف دون وجود حروب أو نزاعات سياسية، كانت، أو قبلية، فكيف يكون حال المرأة، إذًا، في حالات الحروب والنزاعات السياسية المسلحة!!؟، لا شك في أن الحروب والنزاعات هي مدعاة وسبب أكيد ليرتفع، بموجبها، مؤشر العنف وليبلغ أعلى درجاته ضد النساء، اللائي يمثلن الخلقة الأضعف، وأيضًا، الأطفال هم الأكثر عرضة للاعتداءات والتحرشات الجنسية أثناء الاضطرابات أو التقلبات السياسية والحروب، وقد ذكرت بعثة السوق الأوربية المشتركة، أن أكثر من عشرة ألف امرأة تعرضن للاغتصاب في البوسنة.

ـ سورية الحضارة والتاريخ:

يروي لنا تاريخ سورية القديم أنها قد خضعت لحقب سياسية متعاقبة ومتتالية؛ ولعل السبب، في ذلك، لا يخفى على أحد، وهو موقعها الجغرافي (الشرق الأوسط) الذي يتوسط العالم؛ مما جعلها هدفا ومطمعًا لكثير من الغزاة اللذين تعاقبوا على اخضاعها لسياستهم، حيث قدم إليها السومريون، الحيثيون، الأكاديون (2300ق.م)، والبابليون (1728- 1685ق.م)، كما خضعت سورية لحكم الفراعنة: تحتمس الثالث (1490-1436ق.م)، وأمنحوتب الثاني (1438-1412ق.م)، والرابع (1366-1349ق.م)، فضلاً عن الحوريين (1330-1500ق.م)، الذين أعقبهم الكلدانيون إبان عهد نبوخذ نصر (604-562ق.م)، وخلفهم الآشوريون إبان عهد نجلات بلاسر (746-728ق.م.)، ثم الكلدانيون مرة أخرى إبان عهد نبوخذ نصر الثاني (597- 586ق.م.)، حيث ظلت سوريا خاضعة لهم حتى مجيئ الفرس 539ق.م، الذين تعرضوا لهزيمة قاسية على يد الحاكم اليوناني الاسكندر الأكبر، وجاء الرومان، عقب ضعف اليونانيين، ومن بعد خضعت المنطقة بكاملها لحكم المسلمين على مختلف مشاربهم[8]. وربما لا يخالجنا أدنى شك في أن تلك الشعوب، التي تتالت وتناوبت على السيطرة على سورية، وهي جزء من منطقة الشام (فلسطين، شرق الأردن، لبنان)، قد أسست حضارات تليدة وعريقة، فقد أسس الكنعانيون المدن والممالك مثل مملكة عبلاء (ايبلاء)، ومملكة يمحاض في حلب،

[7]/ مدخل إلى الطب النفسي، عباس الزين عمارة، ص: 59.

[8]/ موسوعة الحضارة العالمية، أحمد محمد عوف، ص: 193.

ومملكة أوغاريت قرب اللاذقية، كما أقام الفينيقيون مراكز تجارية ومستعمرات على ساحل البحر المتوسط، وبلغوا حتى قرطاج في تونس سنة 814ق.م، وعملوا على تصدير أخشاب الأرز والمنسوجات والزجاج والتوابل والعطور، وكان لحضارتهم تأثير في بلاد فارس، وأسهموا في بناء القوة البحرية الفارسية وأسس الأموريون (العموريون) مدنًا مثل مدينة ماري في تل الحريري وهي عاصمتهم في الشمال، وكذلك أسس الآراميون مدنًا وممالك مهمة، وانتشرت لغتهم وأبجديتهم التي اعتمدوا فيها الأبجدية الفينيقية[9].

ـــ ما هو العنف؟:

العنف، لغة، ما كان ضد الرفق واللين، يقول رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم،: (يا عائشة ارفقي فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شانه)[10]. والشخص العنيف هو، الشخص الذي تكون فيه غلظة والرقة ليست من طباعه ولا من سمات سلوكه، والسلوك العنيف صفة مذمومة ومستقبحة. وفي المعاجم، العُنْفُ: ضدُّ الرفق، والعَنيفُ: الذي ليس له رِفْقٌ بركوب الخيل؛ والجمع عُنُفٌ. واعْتَنَفْتُ الأمر: إذا أخذتَه بعنف...[11]. وعند ابن منظور، العُنْف الخُرْقُ بالأَمر وقلّة الرِّفْق به وهو ضد الرفق عَنُفَ به وعليه يَعْنُفُ عُنْفاً وعَنافة وأَعْنَفه وعَنَّفه تَعْنيفاً وهو عَنِيفٌ إذا لم يكن رَفيقاً في أَمره واعْتَنَفَ الأَمرَ أَخذه بعُنف وفي الحديث إن اللّه تعالى يُعْطِي على الرِّفْق ما لا يُعطي على العُنف، وهو الشدة والمشَقّة وكلُّ ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشرّ مثله...[12]

ـــ من هو اللاجئ؟:

اللاجئ، هو ذلكم الشخص الذي أضطر إلى الفرار من موطنه وموضع اقامته واستقراره الأصلي طلبًا للأمان في موضع آخر. والأسباب التي تجبر اللاجئين على مغادرة ديارهم كثيرة ومتعددة، غير أن نيران الحروب المستعرة تعد من أبرز أسباب اللجوء والتشرد؛ فأغلب اللاجئين يتركون أوطانهم بسببها، وبسبب أوضاعهم المأساوية التي يفتقرون فيها إلى أهم مقومات الحياة الإنسانية الكريمة، من مأكل ومشرب ...، وغير ذلك مما يسهم في تحقيق الاستقرار لهم،. قال تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش:3-4؛ وذلك لأن توفر الغذاء والطمأنينة والأمان

[9]/ الموسوعة العربية العالمية، اصدار: 2004م.
[10]/ سنن أبي داود ج3/ص:3.
[11]/ معجم مختار الصحاح، الجوهري، مادة: ع.ن.ف.
[12]/ لسان العرب، ابن منظور، مادة: عنف.

مجلبة للاستقرار. وقد لا يغيب عن الأذهان، الفطنة، أن الأسباب التي تفرض على الفرد أو الجماعة ترك موطن الإقامة، الدائم، قسرًا، وتجبره على المغادرة والرحيل؛ قديمة وضاربة في القدم؛ ولكن مصطلح لاجئ أو مبعد/منفي عن وطنه، لم يصبح رمزًا وعلمًا يشير إلى الملايين من المشردين وطالبي المأوى والحماية في غير ديارهم؛ إلا أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد انتهائها (1945م)، وظل، المصطلح، متداولاً منذ ذلك التاريخ، وإن هناك ما يشير إلى وجود مسئول عن اللاجئين عينته عصبة الأمم كمبعوث خاص لمساعدة اللاجئين، وهو: العالم النرويجي، فريد جون نانش، الذي توفي في العام 1930م، وفي العام نفسه أنشئ المكتب الدولي للاجئين لمجابهة الأعداد المتزايدة منهم، فمع نهاية الحرب 1945م كان عدد اللاجئين، في أوربا وحدها، قد فاق الاثني عشرة مليونًا.

ــ المشكلات التي يعاني منها اللاجئون:

هناك العديد من المشكلات تقف حجر عثرة في طريق اللاجئين السوريين الذين اضطرتهم ظروف الصراع المسلح الدائر في بلادهم إلى اللجوء إلى دول الجوار، وتتمثل تلك المشاكل في:

1- ضيق فرص العمل: وهذا يعني، بالضرورة، قلة الدخل مما يعرضهم لأبشع صور الاستغلال؛ وهم، بجانب ذلك، يعانون من انخفاض الأجور وارتفاع تكاليف السكن؛ مما خلق قدرًا من توترات بين اللاجئين والسكان المحليين.
2- عدم توفر حرية التنقل: أسهم المناخ السياسي، في دول اللجوء، في فرض القيود المفروضة على حرية التنقل والإقامة.
3- الأوراق الثبوتية: يعاني اللاجئ السوري من صعوبة، وربما استحالة، الحصول على أوراق ثبوتية تساعده في قضاء احتياجاته من: تعليم، وحرية تنقل، العمل، ... وغيرها.
4- عمل الأطفال: وهو أبشع صور العمل اللاإنساني والأخلاقي، حيث يتم استغلال براءة الطفولة من أجل كسب وتوفير لقمة العيش.
5- الانقطاع عن التعليم: كثيرًا ما يكبر الصغار دون أن يحصلوا على فرصة للتعليم؛ بسبب سوء أوضاع اللاجئين وما يحملونه من أعباء وهموم توفير لقمة العيش؛ لأن البطن الخاوية لا عقل لها.

6- العنف: بشتى صوره وصنوفع وأنواعه؛ إلا أن أبشع تلك الصوره تتمثل في استغلال ضعف النساء والأطفال، الذين يتعرضون لأسوء أنواع الاستغلال الجنسي والجسدي، وهي صورة تأباها النفوس الكريمة ويرفضها الطبع العربي الأبي.

7- التمييز: وهو يمثل صورة أخرى من صور البشاعة اللاإنسانية التي يمارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان؛ حيث يتم التمييز، بين البشر، على أساس النوع/الجنس، أو على أساس المعتقد الديني، أو اللون، العرق، والهوية، والمذهب الفكري... إلى آخر وتلك الممارسات التي نهانا الله تعالى عنها حين قال:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات:13.

وقال:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء:1.

ـــ العنف ضد اللاجئة السورية:

لقد ارتفعت وتيرة العنف الجنسي أي العنف ضد النساء السوريات بشكل حاد، وكذلك في البلدان المجاورة التي لجأن إليها، فأصبح الاغتصاب، وغيره من أشكال العنف الجنسي يستخدم بشكل منتظم من قبل الأطراف المتنازعة في سورية، كسلاح فعال وكنوع من الكتكتيك القتالي؛ كذلك ارتفع العنف الأسري، ومن ذلك مثًلا ازدياد عملية زواج الأطفال[13].

لقد صنف تقرير اللجنة الدولية للصليب الأحمر(يوليو2012م)، النزاع في سورية على أنه صراع داخلي؛ وبناءً عليه يجب تطبيق مبادئ القانون الإنساني على حالة النزاعات المسلحة في سورية؛ الأمر الذي جعل من النساء هدفًا ومسرحًا تمارس فيه العديد من أنواع العنف اللاإنساني واللاأخلاقي ضد المستضعفين من النساء، غير أن الأمر الغريب واللافت للنظر، هو أن المرأة السورية، في بلادها، قد أضحت بين حجري الرحى، فالحكومة من جهة والمعارضة من جانب آخر، والمرأة تقف في وسط حرب تدور رحاها وتطالها نيرانها دون أن تجد لها، في ذلك الموقف العصيب، معينًا أو مسانداً، فتعرضت للمحاكمات والاعتقالات، والاختفاء القسري، والتعذيب النفسي والجسدي، والاحتجاز كرهينة لتغدو هدفًا للابتزاز والاستغلال الجنسي والاغتصاب...، وغير ذلك من المصائب والأهوال، فانطلقت تبحث

[13]/ المصدر السابق.

لها عن مأوى وملجأ يحميها من تلك الكوارث، فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار، فهي بين أمرين أحلاهما علقم لابد من تجرعه، فأين الملاذ وأين الملجأ؟؟، إذ تشير التقارير إلى أن هناك 5400عنصر نسائي، بينهن 1200 طالبة جامعية، قد تم اعتقالهن من قبل الحكومة السورية، ووفقًا لإحصائيات مركز التوثيق، فإن 766 امرأة و34فتاة قاصرهن رهن الاحتجاز، أما عن تقديرات منظمات حقوق الإنسان، فهي تسير إلى أن أعداد المختفين والمفقودين تقدر بحوالي 60ألف شخص، من بينهم عدد غير محدد من النساء[14].

ويتركز العنف ضد النساء اللاجئات، في معظمه، في الجانب الجنسي، بدءًا بالتحرش اللفظي ومرورًا باللمس دون الوطأ، وانتهاءً بممارسة الجنس عنوة (الاغتصاب)، وقد لا يتوقف العنف الجنسي عند حد ارتكاب جريمة الاغتصاب، بل ويتعداه إلى ارتكاب جريمة أخرى هي أفدح وأعظم عند الله تعالى، وتعد من أشنع ما يمكن أن ترتكبه أيد البشر، ألا وهي جريمة القتل العمد، وهي جريمة نهى الله، تعالى، عنها ارتكابها، فقال تعالى:

(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) المائدة: 32.

وحذرنا من عواقبها حين قال:

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) النساء: 93.

وقد لاحظت السلطات في الأردن، لاحظت، عقب إقامة مخيم الزعتري مباشرة، أن النساء يتعرضن لأنواع مختلفة من العنف، لا سيما وأن أكثر من 80 % من سكان المخيم نساء وأطفال، وحوالي 40% منهم نساء معيلات وحيدات[15]، وتشير الأخبار إلى وقوع حوادث مميتة لحوالي 20% من جملة حوادث التحرش الجنسي والاغتصاب التي تم التبليغ عنها، ولعل في هذا إشارة واضحة الدلالة على وجود أيد خفية وراء تلك الجرائم المميتة، فمنذ العام 2011م، تشير الإحصاءات إلى مقتل 4000امرأة و1500 فتاة. وقد لا يداخلنا الشك في أن عدد الجرائم والاعتداءات الجنسية المبلغ عنها أقل بكثير مما هو متوفر في السجلات الرسمية، ولعل السبب لا يخفى على أحد فطبيعة المجتمعات الشرقية أنها تولي مسألة العفة والشرف النسوي الكثير من الاهتمام والتركيز بحسب الأعراف والتقاليد

[14]/ موقع المركز الكردي لتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان (غيتانا).

[15]/ تقرير وضع اللاجئات والنازحات بالدول العربية: المرأة في خضم الصراعات، منة الله عمر الطاهر وآخرون ، ص:22.

الاجتماعية، وقد ورد في تقرير الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان: ما زال من الصعب للغاية قياس مجال جرائم العنف الجنسي أو الوصول إلى استنتاجات عن أنماط هذه الجرائم، لا سيما بسبب حالة الوصم المحيطة بهذه الجرائم. غير أن جميع من قابلنا أفدن بأنهن شهدن على أو سمعن بحالات عنف جنسي وقلن إن الخوف من التعرض للاغتصاب دفعهن إلى اتخاذ قرار مغادرة سوريا. أدلت عدة سيدات تمت مقابلتهن بروايات غير مباشرة عن الاغتصاب وغيره من أشكال العنف الجنسي التي ارتكبتها قوات موالية للحكومة أثناء عمليات تفتيش المنازل، وإثر التوقيف لدى نقاط التفتيش ورهن الاعتقال. هناك أيضاً روايات عن ارتكاب الجماعات المسلحة المعارضة للحكومة مثل هذه الجرائم[16]، كذلك تفرض فكرة وثقافة العار والرفض من قبل المجتمع؛ على اللائي تعرضن للاغتصاب أو التحرش الجنسي التزام الصمت وكبت مشاعرهن وعدم التحدث عن تلك التجربة المريرة، حتى لا تثار لديهن الآلام النفسية؛ الأمر الذي قد يسهم، بشكل كبير، في عدم تلقيهن للعلاج النفسي والدعم المعنوي. كما لا يتم تدوين بلاغ ضد الجاني وبالتالي لا يتعرض المجرم للمساءلة أو العقاب، ولذلك يعاني الباحثون في مجال العنف ضد المرأة، ولاسيما العنف الجنسي على وجه الخصوص، من صعوبات جمة في هذا المضمار؛ وذلك لعدم تمكنهم من تأكيد جرائم العنف الجنسي ضد النساء في سورية، إذ إن اللائي مررن بتلك التجربة يلذن بالصمت خشية العار الذي سيلحق بهن[17]؛ لذلك كان حديثهن عن أخريات، أما عن تجربتهن المباشرة؛ فقد ذكرن، على استحياء، تعرضهن للتحرش فقط، من هنا جاءت قلة البيانات المتعلقة بجرائم العنف الجنسي ضد النساء، وقد أشارت العديد من المنظمات والأفراد إلى الصعوبات ذاتها، حيث أشار مشروع نساء تحت الحصار إلى أن البيانات عن هذا النوع من أنواع العنف يصعب للغاية الوصول إليه؛ لأن الناجيات كثيراً ما يقمن بالفرار من المنطقة أو يلتزمن الصمت ببساطة، خشية العار. مما جعل من الصعب للغاية جمع شهادات مباشرة بسبب ثقافة الصمت التي تحول دون الإبلاغ عن الانتهاكات[18].

وتعد وصمة العار، كثقافة مجتمعية منتشرة في الوطن العربي، شديدة الوطأة على كل من مرّ/ت بتجربة الازلال المرتبط بالعنف الجنسي وغيره من أشكال العنف الجندري، وقد أشار الاختصاصيون النفسيون

[16]/ تقرير الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان، العنف صد المرأة في سوريا: (الخروج عن الصمت)، ديسمبر2012م.

[17] /Mental health and psychosocial support for conflict-related sexual violence: 10 myths", WHO, 2012: http://www.who.int/reproductivehealth/ publications/violence/rhr12_17/en/index.html

[18]/http://www.ohchr.org/Documents/HRBodies/HRCouncil/CoISyria/PeriodicUpdate11March2013_en.pdf

والباحثون الاجتماعيون إلى عدم عثورهم على حالات اغتصاب بالمعنى الواضح للحرفي للفظ[19]؛ غير أنه من المؤكد أن هناك العديد من تلك الحالات المسكوت عنها، بسبب شعور المرأة بالذنب من ناحية ومن ناحية ثانية هناك سيطرة الثقافة المجتمعية التي تحمل الوزر للمرأة، دون مراعاة للظروف القاهرة والوضع المذري الذي تخضع له، فلا تملك من أمرها إلا الاستسلام للأمر الواقع، تمسكًا بالحياة وهي غريزة لا يملك المرء لها دفعًا.

وهناك سبب آخر، يمنع من الحديث عن هذا النوع من الجرائم، ومن ثم تقل البلاغات في السجلات الرسمية، وهو أن هذه البلاغات موجهة إلى الجنود والعساكر، الذين يجدون الحماية من الجهات التي يعملون لصالحها، سواء أكانت النظام أو المعارضة؛ وبالتالي لابد أن توفر تلك الجهات القطاء اللازم لتمنع يد القانون من أن تطالهم[20]، إلا أن القانون الدولي يعتبر الجرائم التي ارتكبت، بشكل منظم ومتعمد من قبل المهاجمين، جرائم ترقى إلى مستوى جرائم حرب، وبالتالي تخضع للملاحقة القضائية والقانونية باعتبارها جرائم ارتكبت ضد الإنسانية.

وقد ورد في كتب الحديث: (عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير. قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال: إن عادوا فعد)[21]، وفي هذا الصدد أنزل الله تعالى قوله: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) النحل: 106، ولاشك أن دلالة الآية، هنا، واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وهي العفو عن المستكره عفوًا كاملاً، بل ربما نال الأجر والثواب على ذلك؛ لأنه حافظ على حياته.

وقد ذكرت تقارير لجان التحقيق بأن التمسك بالعقيدة والعادات والتقاليد الاجتماعية قد أسهم بشكل كبير وواسع في انتحار ضحايا الاغتصابات؛ مما شكل عقبة كأداء أمام بلاغات النساء اللائي تعرضن للاغتصاب أو لأي أنواع العنف الجنسي، وكذلك أدى هذا إلى مساعدة المجرم على الإفلات من العقاب، ومن جانب آخر فقدت الاحصائيات بشكل عام ناهيك بالدقيق منها، وطبقاً لأعضاء رابطة المرأة السورية الذين قابلتهم لجان التحقيق الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان، لا توجد امرأة سورية تجرؤ على الكشف أو حتى مناقشة ما تعرضت له من عنف جنسي؛ فالنساء لا يتحدثن عادة عن

---

[19]/ التقرير الأول للجنة الدولية المستقلة لتقصي الحقائق في سوريا، 23 نوفمبر/تشرين الثاني 2011م.
http://www.ohchr.org/Documents/Countries/SY/A.HRC.S-17.2.Add.1_en.pdf

[20]/ موقع الشبكة الأوربية المتوسطية لحقوق الإنسان.

[21]/ المستدرك على الصحيحين، محمد عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ج2/ص389.

الانتهاكات التي تعرضن لها[22]، وفي حديث لناشط سوري قال: يكاد لا توجد سيدات يتقدمن بشكاوى من مثل هذه الجرائم أو حتى يتحدثن عنها. إذا عُرف بتعرض سيدة للاغتصاب، فلن يرغب أحد في الزواج منها. كما وثقت بعض الدراسات والبحوث لحالات قام فيها ذوو المعتقلة بقتلها بعد خروجها من السجن خشية أن تنالهم ألسن المجتمع بالحديث عما حدث لواحدة من نسائهم، وتلافيًا للعار الذي سيحملون وزره طويلاً[23].

وعلى الرغم من حديثنا عن صمت المرأة وقلة وندرة النساء اللائي يمكن أن يروين ما حدث معهن من عنف جنسي (اغتصاب)؛ إلا أن هناك من تجرأن على الحديث عن تلك التجربة المريرة، وسنورد، وبتحفظ شديد، في هذه الدراسة نموذجين للاجئتين ترويان ما تعرضن له من عنف جنسي مباشر (اغتصاب كامل)[24]، ولكن قبل أن نورد النموذجين؛ لابد من أن نورد أسباب التحفظ:

1- لقد ذكرت كل من الضحيتين اسمهما، وهو أمر مستبعد في مثل هذا الظرف العصيب.
2- البحث الذي وردت فيه الروايتان خلا من اسم الباحث.
3- ركز الباحث حديثه حول العنف الممارس من قبل الدولة، دون أي ذكر للمعارضة.

ومع ذلك، فأننا سنورد تجربتي نور وفوزية في هذه الدراسة، فلسنا على يقين من ثبوت الواقعتين فربما كان حديثهما صحيحًا وصادقًا.

. أولاً، نور:

تقول: هي ذكريات مؤلمة لا أستطيع نسيانها مطلقًا، أحاول أن أتناسي ما حدث معي وأحمد الله أني ما زلت على قيد الحياة ....، وأثناء اعتقالي تعرضت لمختلف أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، وأكثر ما يؤلمني أن جميع الانتهاكات الجسدية كانت أمام أطفالي، وأثناء اغتصابي أغمي علي فظن طفلي، وعمره ثلاثة سنوات، أنني قد توفيت وهو لا يزال يعتقد ذلك ويحسب أني أمًا أخرى، أما أمه القديمة فقد ماتت، وبقي فترة طويلة لا يتكلم إلا بالإشارة، نعم كان الاغتصاب مؤلمًا لحالتي الصحية وأجريت عمليات جراحية في جهازي التناسلي ومع ذلك فقد ترك عاهة مستديمة، حيث استخدموا معي، أثناء التعذيب، عصا خشبية عن طريق ادخالها وتحريكها بوحشية داخل رحمي وشرجي.

ثانيًا: فوزية:

[22] /http://arabwomenspring.fidh.net

[23]/ مركز بحوث للدراسات: المرأة السورية (الألم اليومي والأمل الذي لا يغيب)، ص:9

[24]/ مركز بحوث للدراسات: المرأة السورية (الألم اليومي والأمل الذي لا يغيب)، ص: 7.

تقول: بدأت المجزرة في حزيران 2012م واستمرت حوالى أربع ساعات من الساعة 3:30بعد الظهر وحتى الساعة7 مساءً، كان هناك ألف جندي من كلابهم هجموا علينا من أربع قرى مجاورة ... وكانوا بكامل أسلحتهم النارية، منزلي يقع وسط الحارة التي اجتاحها الجنود ...، اقتربوا من المزرعة بقرب بيتنا وبدأوا بقتل الأغنام والكلاب وأنا أشاهدهم وكنت أظن أنهم لا يريدون الاقتراب منا، وكانت منازل أقرباء زوجي ملاصقة لبعضها البعض، فدخلوا على أقرباء زوجي وقتلوا مئة وسبعين شخصًا وهم من عائلة عبد الرازق، وشاهدت الجثث مكومة فوق بعضها البعض وكان بينها نساء وأطفال وأنا أشاهد ذلك من منزلي ... والتفت حولي وشاهدت الجنود كلهم في منزلي وكان عددنا أربعة وعشرون شخصًا، قاموا بجمعنا في زاوية واحدة من المنزل وانهالوا علينا بالضرب بأخمص الرشاش والبنادق ثم بدأوا باغتصاب بناتي الأربع وقتلهم، وآخر شيئ أتذكره من تلك المجزرة الوحشية عندما جاء واحد من كلابهم وأمسك ابنتي من صدرها وضربها في فرجها وقام باغتصابها أمام أبيها وعندما حاول والدها الدفاع عنها رشوه بالبندقية ومات، واستيقظت بعد ساعات وشاهدت الدماء إلى الكعبين ونظرت وأيقنت أنني قد اغتصبت وأنا بالقميص الداخلي الممزق وفوقي أشلاء بناتي وزوجي، اعتقد الكلاب أنني مت، نظرت فشاهدت ابنتي الصغيرة وهي ترقد بجانبي وتخفي في نظراتها صيحات الخوف والعذاب، وأول ما فعلته بعد أن نهضت، ولم أكن بكامل وعيي، فأخذت صينية مملوءة بالدم كانت في الغرفة كنا نأكل منها قبل قدوم الجنود ثم ذهبت إلى المطبخ لأغسلها فانتبهت على نفسي وخرجت من المنزل أصرخ لطلب النجدة والمساعدة.

هناك سؤال، كثيرًا طرأ على ذهني، وهو: لماذا يمارس العنف الجنسي ضد النساء، لاسيما القصر من البنات والبنين على السواء؟

للإجابة عن هذا التساؤل لابد من النظر إلى مرتكبي جريمة الاغتصاب من عدة جوانب فهم يفتقرون إلى الوازع الإنساني الذي يتضمن، العقيد الدينية، والتربية الأخلاقية، الإعداد الروحي والنفسي، والقيم الاجتماعية والإنسانية، وفوق هذا وذاك هناك غياب العقل سواء أكان ذلك بفعل تعاطي المخدرات والخمور، أو بسبب طغيان الغريزة الجنسية، وربما كان الدافع للعنف الجنسي هو الازلال والانتقام ... وغير ذلك مما يفقد المغتصب عقله الواعي ويحيله إلى حيوان ضار، لا يرعى إلاً ولا زمة. إن العديد من النساء تعرضن، منذ اللحظة الأولى للصراعات، لكثير من العنف النفسي والجسدي، وفي كثير من الأحيان يكون العنف ضد النساء المستضعفات ممنهجًا ومنظمًا ومتعمدًا؛ لاسيما أثناء الفرار من لهيب الحرب ...، حيث يتم قتل الرجال وأخذ الأطفال إلى المعسكرات، أما النساء فقد أصبحن عرضة للاغتصاب والاسترقاق والبيع والشراء...؛ مما جعلهن يعاملن بقسوة بالغة، فتعرض صغار الفتيات

لاغتصاب متكرر، فتكونت لديهن حبرات نفسية مؤلمة ربما لا تزول حتى بين الناجيات منهن. كذلك تضاف صورة العنف الأسري إلى مختلف أنواع العنف التي تتعرض لها المرأة نسبة لضعفها والطمع فيها، فتقع ضحية لضعاف النفوس من عصابات الاتجار بالبشر، وتحت كل الظروف فإن المرأة تصبح فريسة ضغوط نفسية كبيرة، فدائما هي من يتحمل مسئولية الجميع، فالأم يمزقها القلق على الأطفال الذين تعرضوا لصدمات نفسية قاسية تحولت لدى بعضهم إلى اضطرابات نفس جسدية...، وتظل المرأة هي القوة التي تحاول أن تستوعب الجميع وتتحمل الكثير من الألم من أجل حماية الأسرة[25].

لقد خلق الله تعالى الإنسان وكرمه وفضله على كثير من مما خلق، قال تعالى:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) الاسراء:70.

وهذا التكريم الإلهي، بلا شك، يشمل الجنسين من ذكر وأنثى، على حد سواء، كما أن الخالق، جلت قدرته، قد خصّ كلا النوعين بخصائص وسمات تميز كل منهما عن الآخر، دون أن يكون هناك مزية أو أفضلية لذكر على أنثى، وهي حكمة ربانية وعدالة إلهية اقتضتها طبيعة الحياة البشرية في هذا الوجود. غير أن الناظر والمتأمل لطبيعة العلاقة بين الطرفين (الذكور والإناث) يجد أن المرأة، في العديد من المجتمعات وبسبب الأعراف والتقاليد، تتحمل الوزر والعبء الأكبر من الظلم والاضطهاد؛ مما ساهم في تعرضها لأنواع من العنف الجسدي والنفسي، وهي كثيرة بحيث لا يتسع المجال للخوض فيها هنا،

لومن الصعوبات التي واجهت الباحث، أثناء إعداد البحث، الفشل في الحصول على بيانات موثقة من مفوضية اللاجئين بالسودان التي تكرر ذهابي إليها أكثر من مرة، ولكن المسئولين، فيها، لم يتكرموا علي بشئ يفيدني في مجال بحثي، فسعيت إلى إجراء بعض المقابلات الشخصية مع عدد من الأفراد والأسر التي لجأت إلى السودان؛ وبالرغم من حديث الأشقاء السوريين الطيب عن السودان وما وجدوه من معاملة ممتازة من شعبه؛ إلا أني قد استشفيت من حلال تفرسي في لغة الجسد، التي كانت توحي وتقول الكثير، بالإنابة عن الكلمات، فعبرت عما لم يعبر عنه اللسان، فحكت ملامح الوجوه، العيون، الإشارات واللفتات.... عن مرارة المشاعر والأحاسيس المؤلمة، لقد كانت اللغة والكلمات محولة ومتحفظة بشدة، خاصة من النساء، اللائي فضلن الصمت واستعصمن به في كثير من الأحيان، ولا شك في أن الصمت، أبلغ في التعبير من الكلام في مثل تلك الموافق التي تثير الشجون وتهيج كوامن الذكريات، وكأن لسان حالهم يردد قول الشاعر المصري أحمد شوقي:

[25]/ تقرير: وضع اللاجئات والنازحات بالدول العربية: المرأة في خضم الصراعات، منة الله عمر الطاهر وآخرون ، ص: 24.

وطني ولو شعلت بالخلد عنه * نازعتني إليه في الخلد نفسي

أو قول ابن الرومي:

ولي وطن آليت ألا أبيعه * وأن لا أري غير له الدهر مالكا

ـ الآثار النفسية السالبة للعنف ضد المرأة:

تساعد طبيعة المرأة الفسيولوجية وتركيبتها النفسية في أن تجعلها أكثر عرضة للإصابة ببعض الاضطرابات النفسية والعصبية أكثر من الرجال، كالاكتئاب والقلق النفسي، والانهيار العصبي، تقول فاطمة الكتاني: إن المرأة أكثر عرضة للانهيار العصبي والذي هو عبارة عن حالة هستيرية تصيب الشخص بسبب الضغوط النفسية عليه مما يتسبب له في حالة انفعال هستيري (انهيار عصبي)[26]، وأيضًا الجوع العصابي من أشهر الاضطرابات النفسية التي تصيب النساء أكثر من الرجال، و يكثر شيوعه بين النساء بنسبة 1:10، ويعد اضطراب الاكتئاب من الأمراض النفسية التي تصيب النساء أكثر من الرجال (1:2) لاسيما في سن الثلاثينيات من العمر وترتفع نسبة الإصابة حتى تصل إلى ما بين 10% إلى 15% بين النساء في العالم، فالمرأة لا تعبر عن مشاعرها الحزينة بلسانها، وإنما تعبر بلغة الجسد، وتزداد الشكوى النساء كلما شعرت بالضعف. ولعل السبب في ذلك هو:

أ/ حياة المرأة أكثر صعوبة من حياة شقيقها الرجل وأن المرأة في كثير من الأحيان تكون أكثر تعباً وإرهاقا من الرجل ، إذ أنها تواجه خبرات حياتية صعبة ومؤلمة أكثر مما يواجهه الرجل.

ب/ المرأة كتلة من المشاعر والعواطف الجياشة فهي بالتالي ربما تكون أكثر عاطفة من الرجل، مما يجعلها عرضة لكثير من حالات القلق والاكتئاب.

ج/ المرأة تعمل بلا إجازة أو عطلة طالما أنها ربة منزل ولها زوج وأطفال فهي لا تستطيع أن تمنح نفسها عطلة من عمل المنزل.

فإذا كان هذا هو حال المرأة في الظروف الطبيعية؛ فكيف هو حالها حينما توضع في المعتقلات، ظلمًا وعدوانًا، وحينما تضطر إلى اللجوء بسبب النزاعات واندلا ع الحروب!؟؟، لابد أنها ستعاني الأمرين في تلك الظروف القاسية التي لا ترحم ضعف جسدها وقلة حيلتها. تقول إحدى ناشطات الحقل الصحي، والتي تعمل في مجال التواصل المباشر مع المعتقلات في السجون: أما عن المعتقلات، فإن الاعتقال يخلف أثاره النفسية عليهن بعد خروجهن للمجتمع؛ حيث تبقى المعتقلة، السابقة، تعاني من

[26]/ المرأة والإدمان، رشا عبد الفتاح، ص: 76

مضاعفات جسدية ونفسية ... على الرغم مما يبدو، للوهلة الأولى، أنهن قد تجاوزن أثار الأزمة التي مررن بها، إلا أن تفاصيل تلك الفترة تظل قابعة ومحفورة في اللاوعي لديهن؛ مما يتسبب لهن في ظهور أعراض اضطرابات نفسية، كعدم القدرة على النوم، الكوابيس المزعجة، الانهاك الجسدي، عدم القدرة على الانتباه والتركيز، الانسحاب من المجتمع ... وغيرها من الاضطرابات النفسية والعصبية[27]، وتعاني المعتقلات السابقات، بشكل كبير، من اضطراب ما بعد الصدمة الذي يدفعهن إلى العزلة ويسيطر عليهن الشعور بالقلق وتظهر لديهن أعراض الاكتئاب، ولا تتوقف الآلام عند ذلك الحد، فبالاضافة إلى ما تعاني منه المعتقلة السابقة من آلام نفسية مبرحة، هناك عدم الاستجابة لبرامج العلاج النفسي، وإن وجدت فهي استجابة محدودة، والسبب في ذلك يعود إلى جملة أسباب:

- طول فترة علاج الاضطرابات النفسية والعصبية، فحن نعلم أن علاج الاضطرابات النفسية واعادة تأهيل المريض قد تطول بحسب نوع الاضطراب النفسي ونوع العلاج وكذلك تأهيل وتدريب المعالج النفسي.
- يحتاج علاج الحالات النفسية والعصبية إلى كثير من الدعم المعنوي والنفسي، من حيث توفر الالحنان والعطف والدفئ الأسري.
- بافضافة إلى طول فترة العلاج؛ هناك التكلفة المالية العالية التي لا تتوفر لدى الكثيرات ممن يعانين من اضطرابات نفسية؛ مما يسهم في تفاقم الأزمات النفسية لدى المرضى.
- يلعب المجتمع الدور الرئيس في عدم تحقق العلاج النفسي أو تأخره، والسبب هو العادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تعرف الرحمة أو الشفقة بالمرأة التي مرت بتجربة الاعتقال. وهذا يعني أن عذاب المرأة المعتقلة لا ينتهي بالخروج من الحبس، وإنما تبدأ المرأة، بعد خروجها، مرحلة عذاب أمر وأصعب مما كانت تعاني منه داخل السجون والمعتقلات، والسبب هو النظرة الاجتماعية الظالمة والمجحفة بحق النساء المستضفات؛ مما قد يلجئ الكثيرات إلى محاولة الانتحار وقد ينجحن في انهاء حياتهن فرارًا من العذاب النفسي[28].

لقد وثقت العديد من المنظمات الحقوقية والإنسانية للوضع المأساوي المؤلم لمئات الآلاف من اللاجئين الذين يعانون أشد المعاناة ويتألمون أشد الألم، ولعل الأمر الأكثر ألما ومأساوية هو ما تعاني منه المرأة وصغارها، فقد أشارت الإحصائيات إلى أن النسبة الغالبة والأكثرية من النساء اللائي يشهدن معاناة مضاعفة كونهن الأكثر هشاشة بوجه عام. والحقيقة إن أوضاع المرأة في أوقات الحروب والكوارث

[27] /http://www.yemennation.net/news15744.html

[28]/ مدخل إلى سيكولوجية المرأة، محمد حسن غانم، ص: 43.

تتصل اتصالا وثيقا بأوضاعها في وقت السلم، لذلك، وفي حالات النقص الشديد في الخدمات وارتفاع وتيرة العنف، تكون المرأة هي الأشد تأثرًا على الإطلاق. وقد التقت منظمة المرأة العربية بعدد من النساء اللائي تعرضن للجحيم في سبيل الحفاظ على كيان أسرهن في تلك الظروف الاستثنائية ولمست وعيهن بتطورات الأحداث وخشيتهن من انجراف الجيل الجديد، المحروم من التعليم، من فتيان وفتيات، إلى مستقبل مظلم له تأثيره السلبي الكبير على مستقبل الأمة العربية بأسرها. فالحروب والنزاعات، عالبًا، ما تلقي العبء الأكبر من المسئولية على عاتق المرأة التي لم تكن قد أعدت من قبل لمجابهة تلك الظروف القاسية؛ والتي ينوء بحملها العتاة من الرجال، لتخرجها ويلات الحروب من العزلة التي كانت تعايشها وتلقي بها في مهاوي الردي؛ لتجد نفسها واقفة في عين العصفة بلا معين ولا سند، لتواجه مسئوليات لم تعتد عليها من قبل، والأسوأ، في مثل تلك اللحظات العاصفة، هو الاضطرار إلى النزوح أو اللجوء إلى بلد آخر في سبيل البحث عن الأمان لها ولأسرتها. وتتنوع الآثار الواقعة على المرأة من آثار جسدية إلى نفسية وصحية واقتصادية واجتماعية، لاسيما وأن الحروب والنزاعات، دائمًا، تقترن بالمرأة حيث تتفشى ظاهرة العنف ضد المرأة سواء في المجال الخاص والعام، إلى جانب التهديدات العامة التي تصيب المرأة والرجل على حد سواء، فهناك نوع آخر من التهديدات التي تقع على المرأة بسبب النوع/الجنس، فكثيرًا ما تتعرض المرأة في أوقات النزاعات المسلحة إلى اشكال كثيرة من الاعتداءات الجنسية كالاغتصاب الذي يستخدم كسلاح حرب بطريقة ممنهجة ومنتظمة. إذًا وفي ظل النزاعات المسلحة التي تقطي مساحة قد تكون واسعة في المنطقة العربية؛ كان من اللازم أن يتم تركيز الضوء وتسليطه على الإطار والوضع القانوني المعني بالمرأة، خاصة، في أوقات تفشي النزاعات المسلحة، في محاولة، من المسئولين، لفهم استمرار واقع المعاناة اليومية التي تعايشها المرأة تحت نيران الحروب ولهيبها، فمن الملاحظ أن أغلب ضحايا النزاعات المسلحة، على مستوى العالم، هم من المدنيين العزل، ولكن اللافت للنظر هوأن حوالي 80 % من بين المتضررين من ويلات الحرب هم من النساء والاطفال باعتبارهم من الفئات المستضعفة والأكثر عرضة للتهديد.

مما سبق من حديث، اتسم بشئ من الاسهاب، نخلص إلى أن هناك الكثير من الأسباب والدوافع التي أسهمت في خروج اللاجئين والنازحين من ديارهم وأوطانهم باحثين عن مأوى آمن لهم ولأسرهم؛ غير أن ذلك المأوى الآمن الذي خرجوا من مناطقهم، طلبًا له، لم يتوفر لهم في العديد من دول اللجوء ولا في مناطق النزوح، حيث لم يتحقق حلم الشعور بالأمان بالكامل؛ وربما يعود ذلك إلى العديد من الأسباب والظروف، والتي نجملها فيما يلي:

1- صعوبة إجراءات الحصول على الإقامة في بعض الدول؛ عرّضت اللاجئين للملاحقات الأمنية باستمرار، وباتوا يحجمون عن التنقل أو الخروج من أماكن سكنهم خوفا من التوقيف عند نقاط التفتيش.

2- إن جانبًا كبيرًا من التهديد الذي يتعرض له اللاجئون في البلد المضيف يرتبط بفقرهم وهشاشتهم الاجتماعية والاقتصادية التي تجعلهم هدفًا لأنماط مختلفة من العنف النفسي والاستغلال المادي، واللاجئات بوجه خاص، كونهن فقيرات يسكنَّ في مناطق نائية ربما تغيب عنها سلطات الدولة وخدماتها كخدمة الأمن والحماية، ولكونهن غريبات ولا يتمتعن بحماية تقليدية كالحمايات القبلية أو العائلية أوالمجتمعية بالبلد المضيف، يصبحن مطمعا أكثر من غيرهن من جانب الخارجين عن القانون، وذوي النفوس الضعيفة بوجه عام من أرباب العمل وملاك السكن وغيرهم.

3- وقد تتأتى المشكلة الأمنية من خشية اللاجيء أو النازح من امكانية استمرار الملاحقة له من قبل عناصر ارهابية حتى في منطقة اللجوء.

ولا ينحصر نوع العنف ودرجته على العنف الذي تواجهه اللاجئات من قبل أناس، لا يمتون لهن بصلة، من ضعاف النفوس الذين يستغلون هشاشة وضع اللاجئات، سواء أكان القانوني أو الاجتماعي. ولكن هناك صور أخرى من العنف يمارسه ذوو القربى (العنف الأسري)، الذي يقوم به ذكور الأسرة ضد نساءها وفتياتها، ولا شك في أن ظلم ذوي القربى أشد مضاضة وأكثر ألما، بالإضافة إلى ما تعاني منه اللاجئات من اضهاد ومشكلات، نفسية، اجتماعية، اقتصادية، صحية تعليمية ...، وغير ذلك من صنوف العنف مما لا يتسع له المجال، هنا، غير أن معظم، أو ربما كل أنواع العنف التي تتعرض لها النساء في مجتمع اللجوء، تنبع من استضعافهن وعدم توفر وسائل حمايتهن وقد يتطور الأمر فيصبحن ضحايا لعصابات الاتجار بالبشر.

وخلاصة ما يمكن أن نتوصل إليه هو أن النساء أصبحن فريسة لضغوط نفسية وعصبية كبيرة، فدائمًا هن من يمثلن العنصر الذي يتحمل المسئولية الكاملة، فالأم، مثلاً، تتجاذبها وتتنازعها الكثير من مشاعر القلق النفسي تجاه نفسها وتجاه صغارها الذين تعرضوا، هم أنفسهم، لكثير من الصدمات النفسية القاسية؛ مما يجعل كلًا من الأم والأطفال في أمس الحاجة إلى توفير الإرشاد النفسي، وإن استدعى الأمر يجب أن يتحول برنامج الإرشاد النفسي إلى برنامج يقدم العلاج النفسي وربما العصبي، في ظل تلك الظروف المأساوية والكارثية التي يعاني، بسببها، الكثير من اللاجئين من صدمات نفسية تجعل من

برنامج العلاج النفسي ضرورة ملحة؛ من هذا المنطلق يجب ألا تقتصر الخدمات الطبية، المقدمة للجئات، على العلاج البدني/العضوي، بل لابد من توفير الكوادر المؤهلة في مجال العلاج النفسي، بالإضافة إلى تصميم وإعداد برامج علاجية وتأهيلية تعنى بعلاج الاضطرابات النفسية التي نجمت عن الصدمات النفسية التي تعرض لها اللاجئون، وخاصة النساء، من هول ما شهدنه من مجازر تسببت لهن في مآس لن تمحي من ذاكرتهن، وإن تقادم العهد وتطاول الزمن.

* الجدول التالي يوضح بالأرقام الإحصائية، أنواع العنف ضد اللاجئة السورية. والجدول منقول من بحث بعنوان: المرأة السورية، الجرح النازف والأمل الذي لا يغيب[29].

البيانات		المصدر
نسبة النساء السوريات من القتلى	%9	الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
عدد القتلى من النساء	7534	الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
نساء مجهولات المصير	155	الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
القتلى من النساء في مجزرتي البيضا، ورأس النبع	71	الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
المعتقلات الموثقات	4500	الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
اللائي تم اغتصابهن	600	تقديرات الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
اللائي تعرضن للعنف الجنسي	7500	الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
اللاجئون السوريون في دول الجوار	3000000	المفوضية السامية لشؤون اللاجيئن.
النازحون	6500000	المفوضية السامية لشؤون اللاجيئن.
المصابون من النساء والأطفال	1100000	الشبكة السورية لحقوق الإنسان.
نساء سوريات يعلن أسر	145000	المفوضية السامية لشؤون اللاجيئن

ـ قصص وحكايات مأساوية:

لقد انفطر فؤادي وتحدر الدمع مدرارًا وسال حتى بللني، لقد جللتني مشاعر الحزن والألم، وأنا أطالع تلك المآسي التي لحقت باللاجئة السورية، إنها مآس من الألم تفتت الصخر الأصم. وإني لعلى يقين تام من أن تلكم المآسي، والتي أوردنا بعضًا منها في هذه الدراسة، لا تمثل سوى قيض من فيض،

[29]/ مركز بحوث للدراسات: المرأة السورية (الألم اليومي والأمل الذي لا يغيب)، ص: 36

أو قطرة من محيط، مما تعرضت له اللاجئة السورية[30]. ولم يتدخل قلمي ليضيف أو ليحزف، وإنما تركت لسانهن يعبر عن حالهن فهن أجدر وأقدر على التعبير عن مآسيهن:

1/ سعاد من الرقة، أربعون عامًا:

خرجنا من بيوتنا لأن النظام يقصف علينا من الجو ولأنه صار عندنا داعش على الأرض،صاروا يضيقون علينا كل شئ، الدخول والخروج، صرنا مأسورين داخل بيوتنا، لا يمكن للمرأة أن تخرج للأسواق ولا أن تشتري احتياجات المنزل... خرجت أيضا خوفا على ابني، وابني في عمر السادسة عشر، اعتقلوه أكثر من مرة ثم أطلقوه ولكن المشكلة أنه أصبح يريد الانضمام إليهم وكأنه أعجب بهم عندما كان محتجزا لديهم... اعتقلوه 5 أو 6 مرات بسبب التدخين فأصبح يريد الانضمام اليهم... ولذلك خفت عليه هو وأخيه الذي يبلغ 15 عاما ولذلك قال لي زوجي أخرجوا إلى لبنان، وزوجي ظل بالرقة لفترة ثم اعتقل من جانب داعش لعدة أشهر ثم خرج بعدها إلى لبنان ليلحق بنا... أنا مسجلة مع المفوضية بلبنان ولكني أريد الشكوى لحماية ابني، كان يلعب الكرة مع أصدقاء ولكن تعرض له بعض الشباب وسرقوه وأخذوا كل أوراقه الثبوتية وضربوه ضربا مبرحا... ثم بعد أيام قليلة وضعت أوراقه الثبوتية على الفايسبوك على أساس انها مفقودة وتم العثور عليها ويطلبون من صاحبها التواصل معهم لاستعادتها، وعندما تم الاتصال معهم وجدنا أنهم يريدون بيعنا الأوراق بـ300 دولار... للأسف أضطريت أن أدفع المبلغ لاستعيد الأوراق لأنهم هددونا إذا ما دفعنا سيدرجون اسم ابني ضمن ضبط تفجير إرهابي وسيدرجون اسمه على الحدود ليتم تعقبه... ولذا خفت كثيرا أنا وزوجي على ابني... ولذا جئت أشتكي للمفوضية وأطلب حماية ابني لأنه يفكر أيضا بالهروب إلى تركيا ومن ثم يذهب عبر البحر إلى ألمانيا... يريد الهروب مني ومن كل شئ إلى ألمانيا ويؤثر أيضا على أخيه الآخر... أحد أقربائنا وصل منذ أسبوع فقط إلى ألمانيا عبر القوارب بالبحر، عمره 13 عاما، من دون أبيه أو أمه، فقد بقى أهله هنا بلبنان... يداوم الاتصال بهم ليطمئنوا عليه ولكن كيف يمكنهم الاطمئنان وهو بعيد عنهم، أنا أخشى على أبنائي إذا ما فكروا باللحاق به... أسكن مع إخواتي لأن زوجي لم يلحق بنا من سوريا مباشرة، بل ظل سنة حتى لحق بنا لأنه اعتقل من قبل داعش، ولذا سكنت مع إخواتي وهم تكفلوا بالإيجار لأنهم يعملون، والآن جاء زوجي وبدأ بالعمل ولازلت حتى الآن مقيمة معهم حتى نجد بيت بأجر قليل يمكن السكن به دون تحمل أعباء مادية كبيرة.

[30]/ جميع القصص والحكايات مستنسخة من تقرير منظمة المرأة العربية حول وضع اللاجئات والنازحات في الدول العربية (المرأة في خضم الصراعات)، 2016م.

2/ لطيفة من دير الزور في الأربعينات من العمر:

خرجت من سورية منذ عام ونصف، خرجت أولا من منطقتي، دير الزور، قرب الفجر كانت هناك اشتباكات على الطريق قرب الموحسن، كنا على الطريق أكثر من سيارة بها العديد من الأسر والأفراد، نحن عبرنا الطريق بسلام الحمد لله لكن السيارة التي كانت خلفنا مباشرة أصابها صاروخ، لكننا مررنا سريعا من الطريق ووصلنا إلى دمشق ومن دمشق انطلقنا إلى هنا، لبنان... الآن زوجي يأس من الحياة هنا ويلح علي منذ شهرين للعودة إلى سوريا، يريد العودة إلى الضيعة وضيعتنا لا يمكن دخولها أصلا بدير الزور، نحن الآن في خلاف مستمر هو يريد العودة وأنا أخشى من العودة... لا يوجد سبيل للعيش هنا بلبنان بعد قطع المساعدات الغذائية، كانت تساعدنا في العيش بالكاد، الآن بعد قطعها لا يمكننا العيش إطلاقا، عند أول مجيئنا إلى لبنان لم أكن أعلم اننا يجب أن نسجل بالمفوضية، ولكن بعد عدة أشهر سجلنا بالمفوضية، سكنا بغرفة صغيرة كان يسكن بها قريب لزوجي بمفرده وعرض استضافتنا وخرج هو من الغرفة وتركها لنا، أنا عندي 6أولاد وحامل بالسابع، ولذا ترك لنا الشاب الغرفة لنسكن بمفردنا. استمر هذا مدة أربعة أشهر فقط ثم طلب منا المغادرة ليعود للغرفة. لم نكن نعلم أين نذهب وكيف نسكن، وجدنا مبنى صغير غير مكتمل البناء، فقررنا المكوث به، وقمت بتنظيفه لجعله قابلا للسكن خاصة بالنسبة للأولاد الصغار، جاء صاحب المنزل ليطلب منا إيجار، وطلب 350 دولار و50 دولار شهريا مقابل خدمات الماء والكهرباء، كانت مساحتها ثلاث غرف ولكنها غير مكتملة البناء وغير صالحة أصلا للسكن... اكتشفنا فيما بعد أن السقف يمرر المياه عبره إذا ما بدأ موسم المطر، وليست مجهزة بصرف صحي، لأنه لم يكتمل تركيبه وتوصيله على شبكة الصرف. حتى اليوم نحن نسكن بهذا المكان وبهذا السعر رغم أنه غير صالح للسكن، أول ما سكنا بهذا المنزل تعرضت لصدمة كهربائية بسبب عدم اكتمال الخدمات بالمبنى، فالكهرباء تمر إلى المبنى عبر سلك متدلٍ من النافذة، حيث لمسني السلك أثناء قيامي بنشر الملابس المبللة، واضطررت للعلاج لمدة 9 شهور حتى اليوم بسبب هذه الإصابة... البيت به أثاث بسيط، عندي أدوات طبخ بدائية والجيران تبرعوا لنا بكنبة للجلوس، لكن بالشتاء نتعرض لمياه المطر، فمياه المطر تمر من السقف إلى داخل البيت مباشرة ويجب أن نضع كرتون تحتنا أثناء النوم كي لا نبتل، ويجب أن نغير هذا الكرتون باستمرار لأنه يشرب المياه بعد فترة... كل ما أطلبه هو غرفة صغيرة لكن تكون مكتملة البناء والسقف لا يمرر مياه المطر حتى أتمكن من الولادة بها ويعيش فيها طفلي الصغير، الغرفة حيث نسكن الآن لا تصلح لإقامة طفل رضيع... لكن لا يوجد أحد ليسمعنا... أنا أريد أن يأتوا من المفوضية ليروا وضعي ووضع السكن وإذا وجودي بحاجة لسكن لائق يعطونا... أنا لا أطلب شئ أكثر من حقي وحق ولادي في سكن لائق.

3/ يُمنى من ريف دمشق، في الأربعين من العمر:

أنا بالأساس من ريف دمشق من أكثر المناطق المنكوبة التي تتعرض لقصف النظام باستمرار، كنت من أوائل الذين شاركوا بالثورة، كنت أخرج لأغطي المسيرات لكوني صحفية بالأصل، كنت أحمل كاميرتي وأصور المسيرات وما يرفعه الناس من شعارات للحرية... تعرضت للاعتقال لأول مرة بعد أيام من خروج المظاهرات المطالبة بالحرية لأني تواجدت بالصدفة في موقع المظاهرة فصورتها بكاميرتي الخاصة بالعمل، وكنت أعمل وقتها مراسلة لإحدى الجهات الإعلامية القريبة من النظام... اعتقلوني لمدة 12 ساعة ثم أطلقوا سراحي لأنني من عائلة كبيرة في المنطقة حيث أسكن... وبالتالي فرع الأمن أطلق سراحي سريعا خوفا من تزايد السخط في المنطقة من اعتقالي بسبب انتمائي لعائلة كبيرة... واصلت المشاركة في المظاهرات وتغطيتها إعلاميا وتصويرها وفي سبيل ذلك اتخذت اسما مستعارا لأراسل به المواقع والقنوات الإخبارية لنقل أحداث الثورة إلى العالم وذلك خوفا من تعقب النظام لي مرة أخرى... ومع ذلك تعرضت للاعتقال مرة أخرى في المنطقة حيث كنت أسكن وحينها اعتقلت لمدة ثلاثة أيام وخرجت بعدها، فقررت الرحيل من منطقة ريف دمشق إلى داخل دمشق هربا من تعقب الأمن لي والمداهمات المستمرة لبيتي... ولكن عندما استقريت في دمشق مع عائلتي، داهمت الشرطة بيتي مرة أخرى ولم أكن به وقتها، ولكنهم قالوا للجيران ليبلغونا بضرورة المغادرة لأن أهل ريف دمشق لا يحق لهم السكن في دمشق، وهي من اجراءات النظام التي اتبعها للتضييق على أهل ريف الشام لأنهم كانوا سباقين بالثورة... فكرنا بالخروج إلى مصر، وبالفعل توجهنا إلى مصر من خلال الطيران عبر لبنان، حيث استقريت بمصر مع ابني وابنتي منذ حوالي سنتين ونصف، ولكن زوجي بقي في سوريا على أمل أن يلحق بنا بعد ذلك ثم تعقدت اجراءات الدخول إلى مصر ولم يتمكن من المجيء... القصف المتكرر لمنطقتنا أفقدني الكثيرين من أبناء عائلتي... حيث كنا نسكن في بيوت من أكثر من طابق وفي كل بيت تسكن العائلة بأكملها، فحينما يباغتنا القصف وتسقط الصواريخ والبراميل المتفجرة على المباني يقتل العائلة بأكملها إلا من كان حينها خارج البيت، وهكذا فقدت العشرات من عائلتي خلال الأعوام الماضية... تجديد جواز سفري عبر السفارة السورية بالقاهرة كان مهمة شبه مستحيلة، لأني عندما ذهبت إلى هناك كانوا بانتظاري، أقصد الأمن، يعلمون أنني سأضطر لتجديد جوازي وكانوا بانتظاري، وطلبوا مني الدخول إلى السفارة دون غيري من المنتظرين بالصف، وأخذوا جوازي فشعرت أنني سأكون بخطر فتحايلت عليهم وسحبت جوازي وهربت منهم... كنت أعلم أنهم يتعقبونني وأنني مطلوبة من النظام... لكن بعد فترة حاولت أن أجدد جوازي ودفعت رشوة لأحد الذين يعملون بالسفارة لتجديد الجواز وتجاوز كون أني مطلوبة للنظام وبالفعل تم تجديد الجواز.

5/ حلا من دير الزور، في الثلاثينات من العمر.

تنقلت داخل سوريا في حوالي ثمان مناطق، ثم خرجت إلى لبنان، في آخر أربع سنوات سكنت بحوالي 25 بيتا بين سوريا ثم لبنان. أنا مسيحية، ومن غير الممكن أن أعود إلى دير الزور وقد سيطرت عليها داعش، فيما سبق كنا نعيش بسلام مع المسلمين دون أية مشكلات، لكن بأول الثورة بدأت المشكلات للأسف. زوجي طبيب كان يعمل ذات يوم بعيادته، فتم مهاجمة عيادته وحرقها بينما أنقذ الناس زوجي بآخر لحظة. قلنا يومها أن هذا من تدبير بعض الزعران وأن الأمر ليس متعمدا. لكن تكرر الأمر مرة أخرى بيوم كان زوجي في عطلة بالبيت، وجيران العيادة اتصلوا بزوجي وأخبروه أن العيادة قد تم حرقها مرة أخرى، حينها قلنا أن الأمر متعمد، رغم أن زوجي طبيب معروف والجميع يحبه. عندما ذهب زوجي ليشتكي لدى الشرطة، قالوا له أن الرسالة واضحة وأنهم متربصين بنا كوننا أقلية، فطلبنا منهم الحماية بسبب زيادة الطائفية ولم نجد أي حماية. ذات يوم خرجنا من البيت لنجد سيارتنا مصابة بعدة رصاصات، رغم أن منطقتنا كانت لاتزال هادئة ليس بها أية اشتباكات، بعدها ثبتنا كاميرات خوفا من الهجوم القادم. زوجي أصبح يخاف أن يخرج إلى عمله ويتركنا بالبيت مع أولادي بمفردنا – ابني الكبير كان 3 سنوات والصغير كان عمره شهرين فقط آنذاك. رأينا الطائفية بأعيننا، وهذا ما أخرجنا من منطقتنا، ذات يوم ضربوا علينا رصاص ونحن بالسيارة في شارع أهل زوجي، وأقولها مرة أخرى لم تكن بالمنطقة اشتباكات، كنا نحن المقصودين بهذا الهجوم، بدليل أنه عندما خرج الناس من بيوتهم ومحلاتهم ليروا ماذا حدث وحاوطونا ليطمئنوا علينا توقف ضرب الرصاص فورا. بعدها قررنا الخروج من دير الزور نهائيا، وذهبنا إلى أرياف القامشلي، لم نشعر بالأمان هناك أيضا فانتقلنا إلى حلب بمنطقة تابعة للنظام، ظننا أنها ستكون آمنة. وسكننا هناك لمدة شهرين، بعدها حدث تفجير كبير بالمنطقة بسيارتين مفخختين في 2012م، تصادف حينها ذهاب زوجي بإبني إلى المدرسة، فطار ابني من يد زوجي لعدة أمتار وأصيب زوجي في عنقه بشظايا... بقيت مع الأولاد بمفردنا دون أي أهل. العيش هنا بمفردي صعب للغاية خاصة أن الأمم المتحدة أخبروني أنني فُصلت من المساعدات الغذائية، كيف لي أن أوفر الطعام لأبنائي.. حتى عندما أردت أن أجدد الإقامة تم استغلالي أسوء استغلال، كيف لي أن أعيش وأوفر أسباب العيش لأبنائي؟ من شدة ما رأوه من تفجيرات وصوت رصاص، أصبحوا لا يستطيعون النوم، ويستيقظون ليلا يبكون أو يتبولون بثيابهم. أهلي كان عندهم بيت بريف الشام بالغوطة الشرقية، ففكرنا أن ننتقل إلى هذا البيت، وذهبت أختي التي كانت تسكن بريف الشام لتفقد البيت مع جارنا هناك، دخل عليهم ثماني رجال وأغتصبوا أختي تحت تهديد السلاح، الثمانية اغتصبوها، الجار كان كبير بالعمر لم يتمكن من حمايتها وأصيب بجلطة من جراء ما حدث وتوفي بعدها بفترة قصيرة. هذه المنطقة

لم تكن حينها تحت سيطرة النظام، كانوا من الجيش الحر أو من جبهة النصرة، أختي عانت كثيرا بسبب هذه الواقعة وصارت مريضة وواهنة. ثم خرجت عن طريق الأمم المتحدة إلى كندا لتلقي العلاج جراء هذه الواقعة. بعدها فكرنا بالخروج إلى لبنان للتقديم على الهجرة لدى أي سفارة أجنبية، كان طريق الخروج صعبا للغاية من حلب لأنها كانت محاصرة، الطريق إلى لبنان استغرق 4 أيام ولم يكن معنا إلا صندوقين خبز زاد الطريق. عند وصولنا إلى لبنان حاولنا أن نقدم طلب هجرة بأربع سفارات غربية لكن كل الطلبات رُفضت، فقررنا الخروج بتأشيرة سياحية إلى إحدى هذه الدول، لكن الأمن استوقفنا بالمطار وتم حبسنا لأننا دخلنا لبنان بشكل غير شرعي. وتم ترحيل زوجي إلى تركيا ومنها سافر زوجي بالتهريب عبر البحر إلى ألمانيا وبقيت أنا هنا مع الأولاد بمفردنا دون أي أهل.

5/ رضوى من حمص، في العرينات من العمر:

ببداية الأزمة هربنا من القصف بحمص وسكننا بريفها، حينها بدأ القصف يمتد إلى الريف خاصة القصير، كنا نسكن بجانب قاعدة عسكرية للجيش النظامي، كان يتم استهداف مساكننا وبساتيننا بالقنص طوال الوقت، أحيانا برمضان كنا لا نسمع آذان المغرب من شدة صوت الرصاص المستمر، خرجنا إلى دمشق حوالي ثلاثة أشهر ولكن لا يمكن العيش بدمشق من شدة الاجراءات الأمنية وتقطيع الشوارع بالحواجز، فعدنا مرة أخرى إلى ريف حمص، فوجدنا المنطقة التي كنا نسكن بها مليئة بالقذائف في كل الشوارع، استقرينا بمنطقتنا لمدة شهر تقريبا رغم انقطاع الخدمات الأساسية، عشنا أياما طويلة بدون ماء ولا كهرباء ولا حتى خبز والوضع يزداد سوءا يوما بعد يوم. العيش بمنطقتنا كان مستحيلا خاصة مع اشتداد القصف، لأننا كنا نسكن قرب قاعدة عسكرية لا تهدأ، بعدها خرجنا إلى القلمون حيث تم اعتقال زوجي عدة مرات على الحواجز التي كانت منتشرة في هذه المنطقة، ويشتبهون به وبأقاربه ويحققون معه لعدة أيام. في هذه الفترة كانوا يدققون كثيرا على الحواجز ويسألون أين زوجك ولا أستطيع أن أجيب بأنه معتقل، بعدها خفت كثيرا وقررت الخروج من ريف حمص، كنت وحدي مع ابني وابنتي أعمارهم 4 سنوات و 3 سنوات، لم يكن معنا أقاربنا وخرجنا بسيارة أجرة، وفي الطريق وقعت قذيفة بالقرب منا، ومن شدة القذيفة انقلبت السيارة وتدحرجت عدة مرات، وبعدها فقدت الوعي. سائق السيارة أسعفنا وطلب لنا المساعدة ولم نستطع أن نبلغ المشفى الرئيسي بالمنطقة لأنه تحت سيطرة النظام وخفنا من الملاحقة والاعتقال، فتم إسعافنا بشكل بدائي ثم نقلونا إلى لبنان للعلاج. دخلنا حينها إلى لبنان بطريقة غير شرعية، وفور تلقي العلاج قررت الخروج من لبنان إلى سوريا مرة أخرى، لأنني لا أريد أن أبقى بطريقة غير نظامية. عدت مع أولادي إلى سوريا واستقريت لدى أهلي بدمشق، الحياة هناك كانت صعبة لأن المنطقة شهدت في هذه الفترة تفجيرات وأصيب العديد من

جيراننا. بعدها علمت أن زوجي خرج إلى لبنان، فذهبت إلى بيت أهل زوجي بريف حمص مرة أخرى ولكن القصف على هذه المنطقة كان مكثفا، خاصة خلال ثاني رمضان بعد الأحداث، فخرجنا إلى حلب على أمل أن نخرج إلى تركيا. في حلب الوضع كان سيئا للغاية، قد نصادف حواجز للنظام وحواجز للمعارضة وحواجز لداعش، كانوا دائما يسألون عن زوجي وهل له علاقة بأحد الأطراف الأخرى. ظللت بحلب شهر ونصف في منطقة قريبة جدا من القتال، لم نستطع أن نعبر إلى تركيا من شدة القتال، كنا على أطراف جبهة ساخنة، وعلى تخوم منطقة مدمرة بالكامل مع شدة القصف. اضطررنا أن نخرج مرة أخرى بسبب اقتراب القتال من المنطقة التي كنا نسكنها، خرجنا إلى حمص، وفي الطريق مررنا من منطقة مدمرة بالكامل وبيوتها محروقة والجثث ملقاة بالشوارع، كنت أحاول أن أخفي رؤوس أبنائي بحضني خوفا من أن يروا هذا المشهد أو أن تصيبهم رصاصة طائشة. استقريت بريف حمص لفترة حتى تم قصف بيت أهل زوجي، نزل برميل في منتصف البيت ونجونا بأعجوبة وأصيب الكثير من الجيران، حينها خرجنا إلى لبنان وبقينا 10 أيام فقط ثم عدنا إلى سوريا، لأني لا أريد أن أترك بلدي رغم كل شئ. ولكن لم يبق لنا مكان نسكن به، عدنا إلى يبرود وكانت محاصرة من قوات النظام من كل الاتجاهات، كان القصف متواصل ليلا نهارا. ومن شدة الحصار لم نكن نجد خبزا، كان الخبز والأكل يأتي من لبنان. ظللنا محاصرين في يبرود لفترة، لم نكن قادرين على العبور إلى ريف حمص، كانوا يعتقلون الجميع على الحواجز، اعتقلوا سيدات كُثر من أقاربنا على الحواجز وأختفين للأبد. لم يكن لدينا خيار آخر إلا الخروج إلى لبنان، وحينها سكننا بمخيم، لم أكن أريد أن نسكن بالمخيم ولكن لم يكن معي مال لاستئجار بيت، فسكننا بالمخيم.

6/ زهراء من حمص، في الأربعينات من العمر:

أنا أم لثلاثة، بنتين وصبي، لم يكن لدينا إرهاب، لا تقولوا لدينا إرهاب، كل شبابنا كانوا ثوارا، كنا ندافع عن أنفسنا وعرضنا، لأن لا أحد يرضى، لا مسلم ولا أي طائفة ترضى أن يتم تجريد النساء من ملابسهن في منتصف الطريق... جردوا النساء من ملابسهن وضربوهن بالشوارع، من يرضى بهذا؟ ولذلك تسّلح أهالي المنطقة وتسّلح الشعب، لا أعلم من أين جاء السلاح ولكنهم تسلحوا، ولذا بعد أن تم تجريد النساء من ملابسهن وضربهن بالشارع قرر زوجي ورجال الشارع أن يحملوا البنادق لكي يحموا الشارع كي لا يهاجم أحد نسائهم. كنا نسكن بمنطقة كلها علويين، نعيش معا في سلام، نتبادل الطعام ونحضر أعراسهم ويحضروا أعراسنا ولم يكن هناك أية مشكلات، لا أعلم من أين بدأ القتل، إحدى قريباتي تم ذبحها داخل بيتها مع أولادها في لحظة كانت تصلي فيها، دخلوا المنطقة وذبحوا الناس ببيوتهم، ماذا فعلت قريبتي لتقتل بهذه الطريقة؟! كنا جيران ومن ثم بدأوا في تقتيلنا لا أفهم لماذا؟! زوجي

تم اعتقاله بإحدى المداهمات، ثم أخبرونا أنه أُعدم ميدانيا، ثم رأيت صورته على الانترنت، في إحدى صفحات الجيش الحر باعتباره معتقلا لدى النظام، لم أتبين صورته بالبداية، لأن شعره شاب للغاية، زوجي حين اعتقل كان شاباً، كيف شاب في بضعة أشهر؟ مما رأه بالتأكيد. والدة زوجي وأخوه قُتلوا ببيتهم، بعدها قررنا الخروج، ليس خوفا من الموت، لأننا متنا بالفعل، متنا من رؤية الموت، متنا من رؤية القتل، متنا من اللجوء. لا أفهم أين حقوق الإنسان؟ منذ أربع سنوات حتى اليوم ماذا تحقق؟ لا شيئ سوى أن لدينا رقم ملف بمفوضية اللاجئين. لا أحد يهتم لأمرنا، والأمن يلاحقنا باستمرار. حققوا لنا الأمن بسوريا حتى لا نظل لاجئين للأبد. أين حقوق الطفل، لا نجد لأطفالنا حليب ولا نجد الطعام إلا بصعوبة شديدة. بنتي تسألني كل الأطفال يأتي آباؤهم ليأخذوهم من المدرسة وأنا أبي لا يأتي أبدا، أقول لها أبوك بالجنة.

7/ ريحانة من حمص، في الثلاثينات من العمر:

أنا أم لست أولاد، أكبرهم بنت عمرها 15 سنة، أنا بالأساس تزوجت صغيرة، عندما شعرنا بالخطر خرجنا من منطقتنا ولكن لم أخرج فورا إلى لبنان بل نزحت داخل سوريا، أنا وأولادي شهدنا مجازر كثيرة نجانا الله منها. لكن ذات مرة عندما كنا نمر من حاجز أنا وزوجي وأولادي تم اعتقال زوجي، رغم أننا كنا معه وأخذوه من بيننا بعد ما رأى أولادي الجنود وهم يضعون البنادق برأس أبيهم ويقيدون يديه ويغطون عينيه. ظل زوجي معتقلا سنة وثلاثة أشهر لدى النظام لا نعرف أي شئ عنه، لا نعرف حتى إذا كان ميتا أو حيا، ولم أستطع الخروج إلى لبنان إلا بعد أن أطمئننت على زوجي، عشت هذه الفترة بريف حمص، القرى والضيع بريف حمص كانت آمنة نسبيا. وعندما خرج زوجي من المعتقل كان مريضا للغاية، تم تعذيبه بشدة ويده متضررة للغاية وبها التهابات مزمنة حتى اليوم. مكثنا بخيمة كنا ندفع لها إيجار 100 دولار بالشهر ... مجرد قماش إيجاره 100 دولار بالشهر. إصابة زوجي بيده أعاقته عن العمل، ولذلك قمت أنا بتثبيت الخيمة وتجهيزها، كنت أنا الأم والأب في ذات الوقت، أولادي الست لم يتعلموا سواء بسوريا أو هنا خرجت إلى لبنان مع زوجي وأولادي، لكن استوقفونا واعتقلوه مرة أخرى قبل بلوغنا الحدود النظامية، وظل بالمعتقل حوالي الأسبوع يشهد الكثير من التعذيب داخل السجن سواء له أو للمعتقلين الآخرين، كان يخبرني بأن الدماء في كل مكان. ولذلك خفنا أن نخرج من الحدود النظامية، فخرجنا إلى لبنان بطريقة غير شرعية عبر الجبال، خوفا من أن يتم استيقافنا مرة أخرى. ابنتي الكبيرة عمرها 15 عاما، يأتيها الخُطاب ليتزوجوا منها، ولكني لن أزوجها بهذا العمر أبدا. إذا كنت أنا قد ظلُمت فلن أظلم ابنتي أبدا وأزوجها بهذا العمر الصغير. وفوق ذلك كله لا نشعر بالأمان داخل خيمتنا بسبب المداهمات الأمنية بشأن الإقامة.

8/ بسمة من ريف دمشق، في الثلاثينات من العمر:

دمشق تعتبر المدينة الوحيدة الخالية من الدمار، ولكن يوجد بها الكثير من الحواجز الأمنية حيث يُوقفون السيارات لاخذ الشباب للتجنيد بالجيش. فمثلاً لأننا مثبت ببطاقة هويتنا من ريف دمشق عندما نصل إلى الحاجز يطلبون منا أن ننزل من السيارة. ويقولون لنا أنتم قتلتم أصدقائنا وإخواننا وقد يحتجزون الرجال للانتقام منهم. فمن تكون هويته من الريف مهدد بالملاحقة أو بالاعتقال. زوج ابنة أختي اعتقلوه من الحاجز وظل معتقلا إلى أن مات تحت التعذيب. وأيضا حفيد خالتي أيضاً مات تحت التعذيب بالمعتقل، وكانت تهمتهم فقط أنهم من الريف. أخي أيضاّ ظل مُحتجزا ثمانية أشهر بفرع الأمن ثم تم نقله إلى السجن لثلاثة أشهر ولم نكن نعرف مكان احتجازه إلا بعد مساعدة أكثر من وسيط، وكل وسيط كان يوفر لنا المعلومة مقابل المال. ولكنه لم يقم بأي شئ غير قانوني يُحاكَم بسببه. أما أنا فقد تهدم بيتي، حيث كنت أنا وأولادي بالبيت حين تم قصفه بالطائرة. وكان ابني آنذاك يبلغ من العمر ثلاث سنوات وكان يلعب مع أخته في ساحة البيت وقال لها لقد تهدم بيتنا، ابني لم يكن قد ذهب للمدرسة بعد ليتعلم الحديث بالفصحى ولكنه كان يشاهد الرسوم المتحركة بالفصحى فتعلم الحديث بها ثلاث سنوات وكان يلعب مع أخته في ساحة البيت وقال لها 'لقد تهدم بيتنا'، ابني لم يكن قد ذهب للمدرسة بعد ليتعلم الحديث بالفصحى ولكنه كان يشاهد الرسوم المتحركة بالفصحى فتعلمالحديث بها. وطبعاً تهدم كل شئ ولم يبق أي شئ بالبيت ونجونا بسبب أن الطائرة قصفت جانب من البيت فقط. لولا أننا تحركنا من أماكننا قبل القصف بقليل، لكان الزجاج سقط علينا. تم تدمير كل شئ لدرجة أننا لم نستطع حتى أن نري أصبعنا وهو مرفوع أمامنا بسبب الغبار والدمار. وتركنا مدينتنا تحت القصف والضرب والطائرات تمر من فوقنا. ورأينا بعض الناس قد فقدوا سياراتهم بسبب سقوط الأحجار عليها واضطروا أن يخرجوا مشيا على الأقدام، عندما وجدنا سيارتنا سليمة ركبناها وخرجنا فوراً. وكنا نمر على كميات كبيرة من الزجاج المتكسر خفنا كثيرا أن تُتلف الإطارات ويتم احتجازنا بالمكان. انتقلنا إلى الشام حيث مكثنا لمدة ٥ أشهر وبعد ذلك جاء لزوجي عرض عمل فانتقلنا كلنا إلى مصر. وحين كنا بالريف كنا نرى المداهمات العشوائية وكانت الدبابات تقف تحت المنازل وينزل منها العساكر ويبدأون في إطلاق النار العشوائي. كانوا يدخلون البيوت، يأخذون الشباب على الساحات الخالية ويقومون بإطلاق النيران عليهم وقتلهم، خاصةً لأن كان بمنطقتنا عناصر من الجيش الحر وانصرف. بقيت بالصحراء دون مال ولا هاتف ولا أي شئ، حتى مرت إحدى السيارات فخفت عندما بدأت الحرب كنا رافضين الخروج من مناطقنا، نحن نشعر أن هناك من يريد أن يخرجنا من بلدنا، ولكن البراميل المتفجرة والناس التي كانت تموت أمامنا أخرجتنا بنهاية المطاف، ركبت مع سائق بمفردي، وطلبت منه بعض المال

فأعطاني، ثم انتظرت على الطريق حتى ركبت بإحدى المواصلات الجماعية المارة. توجهت إلى فرع الشرطة لكي اشتكي ولكن الضابط قال أنه لا يمكن أن يخدمني بشئ، وطلب مني الرحيل خوفا عليّ من أن يعود سائق التاكسي ذاك ويجدني، حينها أدركت أنه يعمل معهم ولن يفعلوا شيئا من أجلي ضده. خرجت من الفرع واستخدمت أول هاتف صادفته لكي اتصل بأهلي وعدت للمنزل. بعد هذه الواقعة صار زوجي مطلوبا لدى الأمن، لا أعلم إذا كان للأمر صلة بهذه الحادثة خاصة أن هويتي كانت بالحقيبة وأصبحوا يعرفون كل شيئ عني. خرجت عن طريق لبنان وقتها كنت حاملا وكانت الرحلة صعبة للغاية، ولكن زوجي لم يتمكن من الخروج معي، لأن اسمه كان مطلوبا على الحواجز، خاف أن يتم اعتقاله... لو تحسنت الأمور بسوريا سأعود بالتأكيد... لا أريد ان أبقى بعيدة عن وطني وعن زوجي... أختي قد تفكر في السفر بالبحر لأنها وحدها مع أبنائها بعد وفاة زوجها ولكني لي زوج لايزال بسوريا أريد أن أعود إليه... الحمل ثقيل علينا وكثيرا لا نتمكن من توفير مصاريف علاج أبي وأمي، بالكاد نوفر الإيجار والغذاء للأطفال.

9/ نهى من ريف حمص، في الثلاثينات من العمر:

زوجي حاول أن يعمل كسائق وليس معه سوى الشهادة السورية للقيادة ولكنهم لا يقبلونها، وهو مريض ولا يستطيع أن يعمل بعمل شاق ولذلك يُفضل القيادة، ولكن لاستخراج شهادة قيادة مصرية يلزمه أموال كثيرة والتعليم مشكلة أن الأولاد مسجلين بالمدارس المصرية ولكنهم لا يفهمون لهجة المعلمين المصريين، كان لابد أن نسجلهم بمدارس سورية موازية ولكنها بمصاريف إضافية، وزوجي قد يعمل يوما ولا يعمل الآخر، فكيف لنا أن ندبر المال لتعليم الأولاد لا أدري... فالأطفال يداومون في المدرسة السورية الخاصة ثم يقدمون الامتحانات بالمدرسة المصرية الحكومية.

10/ فتون من حلب، في العشرين من العمر:

أنا أصلاً معلمة لغة عربية. أحببت ان أُدَرِّس هنا بمدرسة بمصر فطلبوا مني تصريح عمل، واستخراجه مكلف جدا. مع إني حققت مستوى جيد جداً بامتحانات القبول. قالوا لي يمكنك العمل ولكن بعد توفير تصريح عمل، في النهاية عندما علمت أن الراتب سيكون ٧٠٠ جنيه صرفت نظر تماما، خاصة أن تصريح العمل يكلف نحو 5 أو 6 آلاف جنيها ولابد من تجديده كل فترة. مع العلم بأنني قد اجتزت دورة تدريبية مقدمة من إحدى المؤسسات الأهلية الدولية لتأهيل المعلمين السوريين على تدريس المنهاج المصري والعمل بالمدارس الحكومية المصرية. وكان من المفترض أن نحصل على شهادات بذلك عليها ختم النسر ولكننا لم نحصل على أي شيء حتى الآن.

ـ توصيات ومقترحات:

لقد اطلع الباحث على مخرجات الاستراتيجية الإقليمية للأزمة السورية في السويد (2016-2020م)[31]، التي سعت، في اطارها، إلى تقديم المجموعة من الحلول التي ربما تسهم؛ بشكل فعال في حل مشكلات النازحين واللاجئين السوريين الذين لجأوا إلى دول الجوار وغيرها من الدول العربية والغربية على السواء. فعمل الباحث، هنا، على الاستفادة من تلك المخرجات، في صياغة وتقديم توصيات ومقترحات بحثه التي تتلخص في النقاط التالية:

- تعزيز القدرة على التكيف، أي المقاومة والمرونة والقدرة على التوافق مع المجموعات السكانية االسورية المستضعفة والأكثر تضررا من النزاع.
- تعزيز الديمقراطية والمساواة واحترام حقوق الإنسان في سوريا وفي دول اللجوء.
- تحسين فرص كسب الرزق المستدامة للنساء والرجال، مع التركيز على النساء.
- التركيز على زيادة فرص الحصول على الخدمات الاجتماعية.
- توفير الخدمات الاجتماعية الأساسية للاجئين السوريين بيسبب الأزمة السورية.
- العمل على خفض العنف الجنسي، أي العنف الذي يستهدف النساء على أساس نوعي.
- دعم منظمات المجتمع المدني العاملة في مجال العمل التطوعي.
- تعزيز قدرات منظمات المجتمع المدني السورية والمحلية، ودعوتها للمشاركة في الحوار والمساهمة في بناء السلام والدولة السورية.
- تمكين وسائل الإعلام السورية من أجل نشر مفهوم الشفافية، لتحقيق قدر أكبر من المساءلة في مجال العمل العام.
- العمل على نشر الوعي المعرفي بحقوق الإنسان، بما فيها حقوق المرأة والطفل.
- السعي إلى اغلاق الطرق والمنافذ المؤدية إلى التطرف.
- التأسيس لمشاريع تنموية لخلق فرص عمل جديدة، لتحقيق الأمن الاقتصادي.
- استبعاد الأهواء والمصالح الخاصة من قبل الدول المانحة والداعمة للاستقرار في سوريا.
- العمل على تمكين النساء من أجل القيام بدورهن في صنع السلام والأمن، من خلال تفعيل دور المرأة في السلطة السياسية التنفيذية، بالمشاركة الحقيقية والفعالة، بناءً على قرارات مجلس الأمن: 1325، 2122والتي تدعو إلى: تفعيل دور المرأة وزيادة مشاركتها في إدارة مفاوضات

[31]/ الاستراتيجية الإقليمية للأزمة السورية في السويد 2016-2020م (مترجم عن تقرير باللغة السويدية).

السلام وحل الأزمات، كما دعا لحماية النساء من العنف الجنسي باعتباره جريمة ضد الإنسانية، حتى لا يفلت المذنب من العقاب، وأن تتمتع المرأة بكامل حقوقها.

- توفي خدمات العلاج والارشاد النفسي لجميع اللاجئين، وخاصة المرأة والطفل.
- تجدر الإشارة إلى أن هناك عدة وسائل يمكن للمجتمع أن يفيد منها في مجال توعية مواطني دول اللجوء بأن يتقبلوا هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؛ وذلك من خلال:

1- دور العبادة (مساجد/كنائس): يجب استغلالها لاستثارة المشاعر الدينية واستعطاف المواطن تجاه اللاجئين وقضاياهم.

2- وسائل الإعلام: يجب أن تسهم هذه الوسائل الإعلامية في عرض وحل مشكلات اللاجئين، مع التركيز الكبير على الفئة المستضعفة من النساء والولدان.

3- القانون: لابد من تقديم خدمات ارشادية قانونية للمواطن من جانب، وللاجئ من جانب آخر؛ لتبصير كل منهما بدوره في التعاون في مجال تقديم الخدمات للاجئين.

4- المنظمات المدنية: يمكنها أن تلعب الدور الأبرز والأكبر في تقديم خدمات إنسانية للاجئين واللاجئات: الغذاء، الكساء، العلاج، التعليم، المأوى، الدعم النفسي والمعنوي، تبصير اللاجئ بحقوقه القانونية، وتبصيره بثقافة دولة اللجوء وعادات وتقاليد الدولة المضيفة، وغير ذلك مما يمكن أن يخدم قضية اللاجئين ويسهم في خلق بيئة توافقية بين المواطن واللاجئ.

ألسنة خرساء وجوه ناطقة: الصورة تعبر عن مرارة ألم الانتظار في وجوه الأطفال

ثبت المصادر والمراجع:

كتب:

1- المرأة والإدمان، رشا عبد الفتاح.

2- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعب السجستاني.

3- المرأة وحقوق الإنسان، عادل أبو زهرة.

4- مدخل إلى الطب النفسي، عباس الزين عمارة.

5- الشخصية، ريتشارد لازاروس، مترجم.

6- مدخل إلى سيكولوجية المرأة، محمد حسن غانم.

7- المستدرك على الصحيحين، محمد عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري.

8- ماذا فعلت الجامعة العربية للمرأة اللاجئة وأطفالها المشردين؟، نجوى دردير.

موسوعات:

أ- موسوعة الحضارة العالمية، أحمد محمد عوف.

ب- الموسوعة العربية العالمية، اصدار: 2004م.

ت- معجم مختار الصحاح، الجوهري.

ث- لسان العرب، ابن منظور، مادة: عنف.

تقارير:

- تقرير الاستراتيجية الإقليمية للأزمة السورية في السويد 2016-2020م (مترجم عن تقرير باللغة السويدية).
- تقرير وضع اللاجئات والنازحات بالدول العربية: المرأة في خضم الصراعات، منة الله عمر الطاهر وآخرون.
- تقرير الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان، العنف صد المرأة في سوريا: (الخروج عن الصمت).
- التقرير الأول للجنة الدولية المستقلة لتقصي الحقائق في سوريا.
- مركز بحوث للدراسات: المرأة السورية (الألم اليومي والأمل الذي لا يغيب).
- مركز بحوث للدراسات: المرأة السورية (الألم اليومي والأمل الذي لا يغيب).
- مركز بحوث للدراسات: المرأة السورية (الألم اليومي والأمل الذي لا يغيب)، ص: 36

مواقع:

- موقع الشبكة الأورية المتوسطية لحقوق الإنسان.
- موقع المركز الكردي لتوثيق انتهاكات حقوق الإنسان (غيتانا).

- Mental health and psychosocial support for conflict-related sexual violence: 10 myths", WHO, 2012: http://www.who.int/reproductivehealth/.
- publications/violence/rhr12_17/en/index.html.
- http://www.ohchr.org/Documents/HRBodies/HRCouncil/CoISyria/PeriodicUpdate11March2013_en.pdf.
- http://www.rescue.org/sites/default/files/resource-file/IRCReportMidEast20130114.pdf.
- http://www.ohchr.org/Documents/Countries/SY/A.HRC.S-17.2.Add.1_en.pdf
- http://arabwomenspring.fidh.net.

http://www.yemennation.net/news15744.html